

أدنى من سائحنا العربي في مراتب الفضيلة بمراحل ولقد اضطررت لذكر هذه المقارنة احقاقا للحق من حيث هو في جانب هذا الرجل الذي قضى من سبعة قرون ولكني إخالني قد أخطأت المربي اذ لالوم على السياح الاجانب في أن يكونوا معضدين من حكوماتهم مادامت أعمالهم تأتى بالفوائد الجمة التي نشاهد أثرها يوميا في الوجود وانما اللوم نحن أبناء أمثال هذا العربي في عدم التشبه به ولا بمن دونه وفي الخلود الى البطالة والسكل الذين كان من ورثتهما أن صرنا الى حالتنا الحاضرة التي يبكي لها القريب ويشمت بسببها فينا الغريب {أثري}

(الروسيا في آسيا)

{ ٢ }

لقد شرحنا في مقالتنا الاولى التي نشرت بهذه المجلة في العدد الصادر في ١٥ شعبان سنة ١٣١٦ ما كانت عليه امارات آسيا الوسطى الاسلامية من الانقسام الذي ساعد الروسيا على نشر نفوذها على هذه الاقاليم وبسط حمايتها على بعضها والاستيلاء على البعض الآخر وبيننا كيف تداخلت في امارة خوقند واستولت عليها تدريجاً حتى تاخت بلاد الهند الانكليزية من جهة جبال إيمير وهندكوه {١} والآن نفصل للقراء في هذه العجالة كيف

(١) لقد أوبرنا حضرة العالم الفاضل اسماعيل أفندي رأفت أن حقيقة هذه الجبل هو (هندكوه) لا (هندوكوش) كما ذكرنا في الرسالة الاولى وكاردر في كتب الجغرافية فقال ان هذا الاسم مركب من كلمتين (هند) و (كوه) ومعناها جبال الهند واستشهد على قوله هذا بكلمة شيركوه المركبة من كلمتين (شير) ومعناها الاسد و (كوه) ومعناها الجبل

ضاع استقلال اماره بخاري ونشرح في المقالات الآتية كيف ضمت
الروس الي أملاكها الواسعة اماره خيوة وواحة صرو الفسيحة وبأى وسيلة
قهرت قبائل التكة ومدت في أراضيها الطريق الحديدي الموصل من بحر
{ قزوين } الي بخاري فسمرقند ومدت منه فرعا من { صرو } وصل الآن
الي { كاشك } على حدود الافغان فنقول

لما ضايقته روسيا اماره خوقند وقربت ساعة الاجهاز على استقلالها
فطن الامير ومظفر الدين خان، أمير بخارى الي عاقبة تأخره عن مساعدة
مجاوريه على صد هجمات الاعداء فتحرك لمساعدتهم ومديد المعونة اليهم وجمع
جيشا جرارا لمحاربة الروس لكن مساعدته هذه أتت بعد فترات الوقت
المناسب واضمحلال قوى الخوقنديين ورسوخ قدم الروس في بلادهم
واستعدادهم استعدادا هائلا وجمعهم الجيوش المنظمة التي تحمل السلاح من
أتقن طراز وتصحبها المدافع المهلكة ولذلك لم يصعب عليهم الانتصار على
الجيش البخارى رغما عما أبداه البخاريون من المقاومة والاستماتة في الدفاع
لكن لم تجدهم بساتهم الشخصية شيئا أمام مقتذوفات الروس كما لم تجد شجاعة
ال دراويش فتيلاً أمام مدافع مكسيم في واقعة أم درمان

وبعد أن تم للروس فتح اماره خوقند كما قدمنا في مقالتنا السابقة عين
الجنرال كوفمان حاكما عاما لبلاد التركستان المفتوحة حديثا وبقي في منصبه
هذا مدة عشرين سنة الي ان توفي واليه ينسب اتمام مشروع الروس القاضى
بالاستيلاء على جميع الاراضى والبلاد المستقلة التي تفصل أملاكهم الشمالية
عن الافغان والفرس لتمكن يوما ما من منافسة انكشارى في بلاد الافغان
وأول عمل أتاه هذا القائد التحرش بامارة بخارى لاختضاعها واتهام

ما يطيبله منها من الاقاليم فادعي على أمير بخاري بأن أحد قواده أعلن الحرب على روسيا وساق لمحاربته ثمانية آلاف جندي رغما عن انكار الامير لما أتاه متبوعه . وبعد أن أخذ جنود الامير على غرة وهزمهم بالقرب من نهر زرافشان (١) دخل مدينة سمرقند (٢) عنوة في ١٤ مايو سنة ١٨٦٨ بعد ان حاصرها ثلاثة أيام .

وفي نفس ذلك اليوم استولى الجنرال جولوفتشيف على مدينة { قتي قورقان } بدون مقاومة تذكر وكان قد أرسل اليها مع خمسة آلاف جندي وثمان أوط من عساكر القوزاق بثمانية مئذافع . وبعد ذلك ترك الجنرال كوفمان المرضي والجرحى من جنوده في قلعة مدينة سمرقند مع حامية قليلة سار بمعظم جيشه لمحاربة الجيش البخاري فلحقه بالقرب من مدينة (صاري بول) وهزمه ثم قصد مدينة بخاري للاستيلاء عليها لكن وصله في طريقه خبر قيام سكان سمرقند على من كان بها من الجنود وحصرهم الروس في القلعة والتضييق عليهم فماد مسرعا وفرق جموعهم وفك الحصار عن القلعة بعد ستة أيام كان الحرب فيها سجالا ثم أباح المدينة لجنوده ثلاثة أيام ارتكبوا في خلالها من القتل والسبي والنهب ما سود وجه تاريخهم

(١) نهر في أواسط آسيا يتنديء من جبال (الای طاغ) ويمر بخاري ثم يغور في الرمال قبل ان يصل الى نهر اموداريا (جيحون) ويرى من مياهه ما ينيف عن مليون فدان من أخصب الاراضي هذه الجهة وزرافشان كلمتين فارسيتين معناها نار لذهب
(٢) مدينة عظيمة بأواسط آسيا يبلغ عدد سكانها الآن ٤٠ ألف نسمة كانت من أكبر مدن الإسلام خصوصا في أيام تيمورلنك الشهير الذي اتخذها عاصمة لممالكه الواسعة . فبلغ عدد مساجدها في أيامه ٣٠٠ مسجد وكان بها كثير من المدارس وربوع العلم وبها قبر هذا الملك وآثار للرصد الذي أقامه حفيده (ألغ بك) المتوفي سنة ١٤٤٩ ميلادية

وشوه ما ينسبونه لانفسهم من المدنية

ولما أيقن أمير بخاري أن لا قبل له على محاربة الروس وانه لو استمر على مكافحتهم فهم لاشك فائزون مهما بذله هو وجنوده من الاموال والارواح مادامت الامم الاسلامية الاخرى لاهية كل واحدة بنفسها بل ربما كانت جاهلة بما هي فيه من الضيق فأرسل للجنرال كوفمان يطالب منه الصلح فدارت بينهما المخابرات وأخيرا اتفقا على ان يدفع الامير للروسيا غرامة حربية توازي اثنين وسبعين ألف جنيه وان يتنازل لهاعن ولايتي سمرقند و (قتي قورقان) (١) ويبقى مستقلا بما بقي له وان يلقب بحليف الروسي او يمين بمعيته مندوب روسي يبذل له النصيح في ادارة شؤون بلاده الداخلية وان لا يخبر أي دولة أخرى الا بواسطة هذا المندوب التابع اداريا الي حاكم بلاد التركستان وأعطوه مقابل ذلك اياالتين صغيرتين في جنوب خوقند كانت تدعيهما كل من بخاري وخوقند والافغان وأخيرا أبرموامعه معاهدة تجارية تقضي باباحة التجارة لجميع رعايا روسيا في امارة بخاري وبأن يكون لهم رئيس (شاه بندر) من بينهم في كل مدينة أو قرية مهمة وبأن لا تزيد قيمة الكمرك على الواردات اليها من بلاد الروس في أي حال من الاحوال عن ٢ ونصف في المائة من قيمة البضائع المراد ادخالها وبذلك تم ضياع امارة بخاري ولم يبق لاميها من السلطة الا اسمها وصار الحاكم الحقيقي هو مندوب روسيا القائم بجانبه يبذل اليه النصيح في الظاهر ويصدر الاوامر في الحقيقة فصارت

(١) حيث ان معولنا في كتابة هذه الرسائل على الكتب الانجليزية وكثيرا ما تحرف الاسماء العربية والتركية عند نقلها الى احدى اللغات الاوربية بكيفية يصعب معها ارجاعها الي اصحابها عند النقل عنها ثانيا لذلك نبسط الرجاء لخواص القراء أن يرتدونا الي حقيقة هذه الاسماء اذا وجدوا فيها تحريفا أو تغييرا ويرسلوا ملاحظاتهم الي ادارة المجلة فنشرها بشكل سرور وامتنان.